

اللغة العربية والتحديات التي تواجهها

The Arabic language and the challenges it faces

د، إسماعيل سويقات *

المدرسة العليا للأساتذة - ورقلة (الجزائر)

Ismail.souigat@gmail.com

ملخص:	معلومات المقال
تواجه اللغة العربية في الوطن العربي صعوبات جمة، بعضها خارجي وبعضها داخلي، وهذا المقال يحاول تشخيص بعض الصعوبات التي واجهتها اللغة العربية في الجزائر خاصة منذ الاستعمار الفرنسي وانتهاء بمرحلة ما بعد الاستقلال مقترحا جملة من الإجراءات التي يرى البحث أنها ستساهم في مسيرة اللغة العربية لسنة التطور وبذلك يمكنها أن تواجه هذه الصعوبات وتخرج من هذا الصراع وهذا المأزق الذي هي فيه بأقل الخسائر لأن المعركة ضدها شديدة والصراع الذي تخوضه ضد ما يهدد كيانها محتدم، وإذا لم يبادر أهلها بمعالجة الأمر وتداركه قد يحدث لها ما يحدث لبعض اللغات حين تدخل في المرحلة السريرية التي يليها الموت لا قدر الله.	تاريخ الارسال: 2022/06/17 تاريخ القبول: 2022/11/30
	الكلمات المفتاحية: ✓ الفصحى ✓ العامية ✓ الصراع ✓ الهوية ✓ السياسة اللغوية.
Abstract :	Article info
<i>The Arabic language in the Arab world faces many difficulties, some external and some internal, and this article tries to diagnose some of the difficulties faced by the Arabic language in Algeria, especially since the French colonialism and ending in the post-independence phase, proposing</i>	Received 17/06/2022 Accepted 30/11/2022

a number of measures that the research believes will contribute to keeping the Arabic language in line with the year of development and thus can face these difficulties and get out of this conflict and this impasse in which it is with the least losses because the battle against it is severe and the conflict it is fighting against what threatens Its entity is raging and if its people do not take the initiative to deal with it and remedy it, what may happen to it in some languages when it enters the clinical phase followed by death, God forbid.

Keywords:

- ✓ fluent
- ✓ colloquial
- ✓ conflict
- ✓ identity
- ✓ language politics.

. مقدمة:

لغة الأمة هي واجهة حضارتها وثقافتها وعنوان هويتها ، وعليه تعنى أمم الدنيا قاطبة بلغاتها وتبذل الغالي والنفيس في سبيل ترسيخها وتجديرها والمحافظة عليها ، واللغة عنصر من عناصر الشخصية التي تحفظ لكل أمة خصائصها المميزة وإلا كانت نسخة من الآخر الذي يريد أن تفرض في لغتها لتذوب فيه ، والتاريخ علمنا أنك مهما حاولت أن تذوب في الآخر وتتخلّى عن مرتكزاتك الشخصية إلا أنك تبقى في نظره عنصرا ثانويا طارئا تحتل منه المرتبة الثالثة أو الرابعة في تصنيفه الاجتماعي والثقافي ، لذا تحرص الأمم التي تحترم نفسها على التميز بشخصيتها وكيانها . فاللغة " رمز وجود الأمة ، وبقدرة أصالة اللغة والمحافظة على اللغة الأصلية أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعبا أصيلا ، أو مجرد أشتات فحسب " ¹.

واللغة العربية في الوطن العربي تواجه صعوبات جمة، بعضها خارجي وبعضها داخلي، وهذا المقال يحاول تشخيص بعض الصعوبات التي واجهتها اللغة العربية في الجزائر خاصة منذ الاستعمار الفرنسي وانتهاء بمرحلة ما بعد الاستقلال مقترحا جملة من الإجراءات التي يرى البحث أنها ستساهم في مساندة اللغة العربية لسنة التطور وبذلك يمكنها أن تواجه هذه الصعوبات وتخرج من هذا الصراع وهذا المأزق الذي هي فيه بأقل الخسائر لأن المعركة ضدها شديدة والصراع الذي تخوضه ضد ما يهدد كيانها محتدم ، وإذا لم يبادر أهلها بمعالجة الأمر وتداركه قد يحدث لها ما يحدث لبعض اللغات حين تدخل في المرحلة السريية التي يليها الموت لا قدر الله.

2. أهمية اللغة في حياة الشعوب:

اللغة تحافظ على كيان الشعوب ، والأمة لا يبقى كيانها إلا بالمحافظة على اللغة التي تجمع كل عناصر المجتمع وتعطيه استقلاله وتميزه فاللغة والمحافظة على الأصل تؤثر على التراب ، فالألمان الذين هاجروا إلى أمريكا وكونوا هناك جاليات ومدنا كاملة وتكلموا بلغتهم ، وحافظوا على تقاليدهم مثلا ، بقوا ألمانا رغم تبدل التراب ، أي رغم حياتهم في بلاد غير بلادهم الأصلية ، ولو بقوا في بلادهم وتغلب عليهم المحتل الأجنبي وأنساهم لغتهم فهم لن يعودوا ألمانا رغم أنهم بقوا في ألمانيا ²

إن اللغة تكون الإنسان وتؤثر فيه ، فهي صدى روح الأمة ، وليست مجرد أداة يعبر بها عن نفسه، بل هي الطبيعة الإنسانية التي تبرز منه في شكل أصوات خاصة معينة ، هي صدى الروح بما تحمله من شحنات عاطفية وتصورات ومفاهيم وذكريات مشتركة يتفاهم الإنسان بها مع من يشاركونه نفس التصورات ، ونفس المفاهيم والطبائع ، والتقاليد ، والعادات ، والذكريات، ولو كانوا ولدوا في قارات أخرى غير قارته ³.

إن الذي يفقد لغته يمزق الخيط الذي يصله بالأجداد ، ويفقد معها حلقات ماضيه ، ويشعر بفجوة عميقة حقيقية في تطوره ، وينقطع عن أصله لأن اللغة الأصلية هي الحياة ، وهي التي تمت بالحياة ، ولأن الأمم المغلوبة التي تفقد لغتها تندمج وتذوب في جنس اللغة الغالبة ، ذلك أن اللغة تؤثر في الشعب المتكلم بها تأثيرا لا حد له ، يمتد إلى تفكيره ، وإرادته ، وعواطفه، وتصوراته ، وإن جميع تصرفاته تصبح مشروطة بهذا التأثير ، ومتكيفة به ⁴.

والأمم في هذه الدنيا قد تخوض حروباً لتحرير الأوطان أو حروباً اقتصادية أو تكنولوجية أو ثقافية أو إعلامية أو سياسية وساعتها تفرض على الشعب التجنيد الإجباري لرد الغزو المادي ، ولا يحق لها ذلك فقط ، بل يجب عليها أن تفرض عليه أيضاً التربية الصحيحة لتحصيله من الغزو الروحي ، وتضمن له الاستمرار والخلود ، وكل تربية صحيحة سليمة لا يمكن أن تقوم إلا على أساس اللغة القومية الأصيلة التي هي القوة الطبيعية الأولى للأمة⁵.

3. اللغة العربية وتاريخ طويل من الصراع من أجل البقاء:

لا تكتمل عناصر السيطرة على الشعوب إلا بالسيطرة على كل عناصر مقوماتها لأن الأمة تبقى منفصلة عن غزاتها مادامت تشعر أنها مختلفة كل الاختلاف في دينها ولغتها وعاداتها وتقاليدها عن هذا الغازي الذي جاء يريد الاستيلاء على مقدرات الأرض ، ولقد أدرك هؤلاء الغزاة ذلك ، فحاربوا الشعوب المغلوبة في هذه العناصر الثلاث ليتم لهم الاستيلاء على الأرض ، ولذا كان أول ما فعلته فرنسا عندما وطئت أقدامها أرضنا أنها حاربت الدين ومنعت تعليم اللغة العربية على مدى مائة وثلاثين سنة تركت أثرها المدمر على لغة الشعب إلى يومنا هذا ، والغريب أن فرنسا واصلت محاربتها للغة العربية في الجزائر ودول المغرب العربي حتى بعد (استقلال) هذه الشعوب عن فرنسا ، وما تدخلها لإبطال قانون تعميم اللغة العربية بعد مرحلة زروال إلا دليل على ذلك .

وفي غياب الإرادة الصادقة القوية من الذين حكموا الجزائر منذ الاستقلال ومع نفوذ (الفرنسيين) الذين يحملون الأسماء الجزائرية والجنسية الجزائرية والذين يتحكمون في كل مفاصل الدولة تبقى جهود المخلصين تراوح مكانها وتبقى اللغة العربية تعاني . إن اللغة عموماً في الظروف العادية تحتاج إلى رعاية دائمة لتبقى صامدة في وجه عوامل التغيير والتدمير فما بالك إذا غابت الرعاية وحلت محلها الدسائس والمؤامرات .

يذكر خير الدين في مذكراته في شيء يبعث على الاعتزاز من جهة كيف قاوم هذا الشعب مخططات المستعمر حين منع تعليم العربية وتحفيظ القرآن بالجنوب الجزائري في ثلاثينات القرن الماضي ، وفي كثير من الألم والحزن كيف دخل متسللاً إلى ورقلة كما يدخل للصوص وهو في بلده كي يرفع تقريراً إلى ابن باديس حول ما يجري في المنطقة ويعلمه بحقيقة الوضع⁶.

وفي السبعينات خاض المخلصون معركة التعريب وبدأ أنهم حققوا بعض التقدم في استرجاع الهوية والسيادة الحقيقية " ذلك أن التعريب في السبعينات أصبح مقنناً فقد سنت من أجله القوانين وصدرت في حقه القرارات الحكومية ، وأصبح بحكم التشريع وبحكم القانون أمراً مقررًا لا خلاف حوله ، فماذا كان رد فعل خصومه؟" لقد لجأوا إلى طرق ملتوية يفسرون بها النصوص القانونية حسب أهوائهم ، ودخل التعريب في مرحلة المناورة بدل المبادرة وتنفيذ القانون⁷.

يقول عبد الله الركيبي وهو يتحدث عن مرحلة السبعينات " فالعراقيل التي توضع أمام التعريب اليوم أشد عليه من الفترة الماضية ، ففي عراقيل مدروسة بعناية كبيرة من بعض خصومه ، فقد أفرغوا القانون من محتواه ، اشتراطوا للتوظيف مستوى للترسيم والتثبيت ولكن حين جاء التطبيق تدخلت الاعتبارات الخاصة والنوايا المبيتة والأفكار المسبقة ، فوجدنا ممن لا يستطيع كتابة جملة بالعربية مرصداً في وظيفة ، وبذلك استغلوا القانون كما استغلوا الفراغ الذي سببه عدم المراقبة الصارمة على تنفيذ النصوص ، وظن أصحاب النية الطيبة أن القانون وحده يكفي لردع المغرضين وإذا بالتعريب يتعثّر بحيث لم يدخل قطاعات كثيرة كان المفروض أن يدخلها ، لم يدخل حتى المجالات البسيطة التي تعبر عنها العامية فضلاً عن العربية الفصحى المعربة ، وإلا فكيف نفسر عدم تعريب أمور لا تتطلب ثقافة أو تعمقاً في اللغة في مستويات كثيرة ابتداء من البلديات مروراً بالحزب حتى المؤسسات الأخرى حسب السلم الإداري⁸."

والمشكلة أيضاً كما يقول عبد الله الركيبي " هي أننا نظرنا إلى التعريب نظرة لغوية بحتة ، ونسينا الجوهر الأساسي في الموضوع ، فالتعريب اللغوي لا يكفي ، لأن من يقرأ بالعربية أو يكتب بها قد يلتقي مع أي أجنبي يحسن العربية ، يلتقي مع المستشرق الذي يتقن العربية مثل أهلها وربما أكثر منهم ، يلتقي مع من يتعلم لغة أجنبية بغرض التعامل مع أصحابها ، في حين أن التفكير هو المهم في الموضوع ، فربما وجدنا مواطناً لا يحسن العربية ومع هذا يدافع عن العربية والعروبة أكثر من بعض الذين يتقنون العربية⁹.

وإذا كان الأمر قد استمر على نفس الحال في الثمانينات ، فإن التسعينات كانت مرحلة الردة بكل معاني الكلمة حيث أصبحت الحرب على عناصر الهوية مكشوفة وأبرزها العربية ، لقد أدرك التيار المعادي للعربية أن اللغة العربية هي وعاء ثقافتنا، وعنوان هويتنا، والمحافظة عليها تعدّ محافظةً على الذات وعلى الوجود. وأدرك أن تمكّنها من الحياة ومن الوجود يعني زحزحته عن السلطة والمال والجاه، فعمل بكل ما يستطيع من أجل ألا تسترجع مكائنها، ويذكر رضا مالك -كما نقلت جريدة الشروق- أن ثلاث دول تدخلت لإبطال قانون تعميم اللغة العربية¹⁰. فالفرنسيون يعتبرون خطأ أحمر تعريب ثلاثة ميادين: إدارة الدولة الجزائرية، والاقتصاد، وتعليم العلم والتقانة بالجامعة.

عندما صدر قانون تعميم استعمال اللغة العربية عن المجلس الشعبي الوطني يوم 27 ديسمبر 1990 أدلى وزير الفرنكفونية الفرنسي ألان ديكو في نفس اليوم بتصريح معاد للقانون، وشنت الصحافة الفرنسية حملة ضارية عليه. وعندما ألغى الرئيس اليامين زروال تجميد القانون تحرك النواب الفرنسيون في البرلمان الأوروبي، الذي أصدر في نوفمبر 1997 بيانا بواسطة لجنته الفرعية لحقوق الإنسان جاء فيه: «إن سياسة التعريب جاءت نتيجة عمل فوج في ميثاق 1976، وإن اللغة العربية التي فرضت على المجتمع الجزائري هي اللغة الفصحى، وهي لغة مصطنعة بعيدة عن المجتمع، وعن العربية التي يتكلمها الشارع الجزائري، فالعربية الفصحى فرضت عنوة في التعليم والقضاء، وقد ألحق تعليم الفصحى الضرر بالفكر، ومكن الفكر الأصولي الظلامي الديني من الانتشار، وأدخل الحركة الإسلامية للبلاد¹¹.

ومن الغريب أن الفرنسيين الذين يحاربون قانون العربية بالجزائر لهم قانون حماية اللغة الفرنسية ، وقد وضع لمواجهة غزو اللغة الإنجليزية. ومن الغريب أيضا أن الفرنسيين الموحيين لغويا في فرنسا يعملون على تعدد اللغات بالمغرب العربي، ويقولون إن في الجزائر وفي أقطار المغرب العربي أربع لغات: العربية الفصحى، والعربية الدارجة، والبربرية، والفرنسية. أما في فرنسا التي توجد بها ست لغات جهوية أكثر عراقية من اللغة الفرنسية فالدولة ترفض الاعتراف بها، وآخر قرار صدر من مجلس الشيوخ الفرنسي يوم 18 جوان 2008 يرفض الاعتراف باللغات الجهوية التي تهدد، في رأيه، الوحدة الوطنية الفرنسية، التي تكون حمايتها من وحدانية اللغة¹².

وفي مطلع 1991 بدا للمجلس الشعبي الوطني أن يصادق على قانون يحدد تاريخ 5 جويلية 1992 كأخر موعد "لاستكمال تعميم استعمال اللغة العربية" في الإدارة الجزائرية.

لكن قبل يوم واحد من الموعد المحدد قانوناً أصدر الرئيس علي كافي مرسوماً تشريعياً، باقتراح من حكومة سيد أحمد غزالي يجمد قانون 1991 إلى غاية توافر الشروط الضرورية لتطبيقه.

وفي ديسمبر من العام 1996، بدا "للمجلس الوطني الانتقالي" هيئة معينة في عهد الرئيس اليمين زروال ان يبعث القانون المجمد ويحدد موعداً جديداً لاستكمال التعميم بتاريخ 5 جويلية المقبل 1997 .

وكان هذا المنشور بمثابة إيدان للصحف الفرنكوفونية من الدوائر التي تدعمها لشن حملة منسقة بهدف تأجيل القانون مرة أخرى إلى أجل غير مسمى.

لقد استمرت اللغة الفرنسية لغة للحكام الجدد ومصدراً لمختلف المنافع والامتيازات المرتبطة بالمناصب والنفوذ. وأدى التطرف في التمسك بهذه المصالح الضخمة إلى محاولة توظيف ورقة "اللغة الأمازيغية" ضد اللغة العربية وما في ذلك من تهديد للوحدة الوطنية نفسها. كما أدى إلى جعل اللغة العربية وسيلة من وسائل التهميش والإقصاء.¹³

ولم يقتصر التحدي الذي تواجهه اللغة العربية على هذا الجانب بل هناك جوانب أخرى نذكر منها:

1- العولمة: حيث إنّ العولمة الثقافية تريد نشر اللغة الإنجليزية – لغة القطب الواحد – وهيمنتها في التعليم والتواصل.

2- التمكين الممنهج والمقصود للغات الأجنبية على حساب العربية.

3- إحياء لغات الأقليات وتشجيعها بكل الوسائل المادية والمعنوية.

4- إحياء الدعوة إلى استعمال اللهجات العامية .

5- ضعف الانتماء اللغوي والشعور بالنقص أمام اللغات الأجنبية وهيمنة اللغات الأجنبية في الجامعات و المدارس.

6- غياب السياسة اللغوية وعدم وجود مشروع قومي لتعريب العلوم. وهذا لانعدام منهجية واضحة في التعريب وعدم توفر الإرادة الصادقة، لدى أصحاب القرار.

4. اللغة العربية والعولمة:

عند المقارنة بين اللغتين العربية والانجليزية مثلا يظهر الفارق الشاسع بسيادة اللغة الإنجليزية على الوسائل التكنولوجية ومجال الأعمال والاتصال الدولي. فالأرقام الدولية الرسمية تقول إن 90% من العناصر التي تتوفر في شبكة الإنترنت هي بالإنجليزية وحدها، و85% من الاتصالات الدولية عبر الهاتف تتم بالإنجليزية أيضاً، وإن أكثر من 70% من الأفلام التليفزيونية والسينمائية بالإنجليزية، و65% من برامج الإذاعات في كل العالم بالإنجليزية. أما في مجال الأعمال فتشكل الفرنسية في أقطار المغرب العربي والإنجليزية في المشرق أهم الشروط التي يجب توفيرها للحصول على عمل أو منصب مرموق معين. والمشكلة الحقيقية أن يترتب على هذه الظاهرة اعتقاد بإيجابية الفرنسية أو الإنجليزية وسلبية العربية وما ينتج عنه من طمس الهوية اللغوية العربية والثقافية الإسلامية.¹⁴

إن رُدم الفجوة الرقمية في المجتمع العربي، يتطلب جهوداً مكثفة ومبرمجة من قبل جهات عدة وتمتد حقبة من الزمن، وهذا ما يتطلب عملية تنسيق ومتابعة حثيثة وإعادة نظر مستمرة. والعربية لديها من القدرات العقلية ما يمكنها من ولوج العالم التقني الجديد. فاللغة العربية بقيت سبعة عشر قرناً تقاوم بقوة، لكنها العولمة التي تبتلع الضعفاء وهي تعني سيطرة دول الشمال عن طريق تفوقها العلمي والتقني على الجنوب ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.¹⁵

حينما نستعرض واقع اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية نجد واقعاً مخيفاً، فالناطقون بالعربية حقيقة يقدرون بأكثر من ثلاثمائة مليون نسمة، وهو ما يساوي 4.7% من نسبة سكان العالم، ومستخدمو الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) 1.4% منهم، والناطقون بها حكماً من غير العرب يقدرون بمليار تقريباً، وهذه النسب تعكس مستوى ضعف اللغة العربية على الشبكة، من حيث حضورها في الساحة الرقمية، فهي تأتي بعد لغات أضعف منها بكثير من حيث المتحدثين بها كالكورية والبرتغالية والهولندية.¹⁶

والفجوة الرقمية تتسع يوماً بعد يوم، فعدد الموضوعات المكتوبة مثلاً في (ويكيبيديا) باللغة البولندية على سبيل المثال يساوي عشرة أضعاف ما هو مكتوب باللغة العربية تقريباً، كما توجد ملايين المحاضرات والمقالات العلمية والتجارب العلمية، والدراسات والأبحاث المقدمة بطرق تربوية تفاعلية ثرية في كل اللغات بخلاف العربية. كما أن أغلب المجالات العلمية والثقافية تخلو من الترجمة إلى العربية، في حين تترجم غالباً إلى لغات أقل تداولاً من العربية بكثير، ويكفي أن نعرف أن ما ترجمته إسرائيل في السنوات العشر التي تلت تأسيسها يفوق كل ما ترجمه العرب منذ بدء القرن التاسع عشر إلى اليوم.¹⁷

إن حصة الإنتاج الفكري بالعربية المتاحة على الشبكة لا يتجاوز 1% من المعلومات المنشورة وهذا الأزمة تتفاقم مع توسع الفجوة الرقمية، فوفقاً لتقرير التنمية البشرية العربية 2002م يترجم نحو 330 كتاباً سنوياً إلى اللغة العربية، وهو ما يساوي قرابة 20% من عدد الكتب التي تترجم سنوياً إلى اليونانية، مع أن الناطقين باليونانية أقل من 4% من الناطقين بالعربية، وما ترجم من كتب منذ عصر المأمون حتى يومنا هذا لا يزيد عن 100000 كتاب، وهو يقارب ما ترجمه أسبانيا في عام واحد، وهذا كله يؤثر في تطور العربية وإغنائها وتوسع مكتباتها، بل قد يتسبب في تفوقها، والحد من استعمالها في العديد من المجالات.¹⁸

4. الدعوة إلى العامة :

سنة التطور سنة كونية لا محيدة عنها، فهي تصيب الإنسان والأمم والعلوم والعادات واللغات وكل شيء يتعلق بالإنسان ويحيط به، والتطور اللغوي تطور له مظاهره وعلمه وقوانينه التي يسير عليها منذ لغة آدم إلى يوم الناس هذا، ومعرفة المظاهر والعلل والقوانين

أثار نستطيع بها في ما نزع من أن نعيد بها العامة إلى حزن الفصحى بمجهود يسير لو صادف حسن النية وصدق العزيمة ، لأن المسافة بين العامة والفصحى مسافة ليست كبيرة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المهتمين بشأن الفصحى وعلاقتها بالعامة أربعة أصناف :

- 1- القسم الأول : وهم أصحاب النظرة النفعية الذين يرون أن اللغة مجرد وسيلة للتواصل فمتى تحقق التواصل وبأي طريقة كانت ، انتهت المشكلة وإذا كانت اللغة الفصحى الآن على مستوى الكلام لا تؤدي هذه الوظيفة مع كثير من الناس ، دعوا إلى استبدال الفصحى بالعامة أو بلغات أخرى وبالغ بعضهم ودعى إلى كتابة الألفاظ العربية بالحروف الأجنبية ومن أصحاب النظرة النفعية للغة سلامة موسى من مصر وعلي الوردى من العراق .
- 2- أما القسم الثاني : فهم أصحاب النظرة التقديرية للغة وهم يرون أن اللغة العربية شيء مقدس لأنها ارتبطت بالدين وجاء القرآن بها وأي مساس باللغة أيا كان هذا المساس فهو مساس بالدين وتعدي عليه ، لذا قاوموا وبشدة كل محاولة للتطوير وعلى كل مستويات اللغة المعجمي والصرفي والنحوي .
- 3- أما القسم الثالث : فهم أصحاب النظرة القومية الذين لا ينظرون إلى اللغة من المنظور الديني وإنما هم يمجدون اللغة من منظور قومي لأنها عنوان الهوية وجامعة للشعوب العربية وموحدة لها والحافطة لكيانها من التمزق والتشردم ، ولأن هذه اللغة هي وعاء تراثها وحاضنة حضارتها ، وهؤلاء أيضا يشبهون في مواقفهم أصحاب النظرة التقديرية التي منطلقها الدين .
- 4- أما القسم الرابع : فهم أصحاب النظرة الوسطية التي دعت إلى إحداث إصلاحات وتغييرات في اللغة لتتماشى مع العصر وعليه دعوا إلى التخفيف من قيود اللغة الصارمة على المستوى المعجمي والصرفي ، كما دعوا إلى تيسير النحو وقواعد الإملاء ومن هؤلاء المنادين بالنظرة الوسطية إلى اللغة العربية محمود تيمور في كتابه مشكلات اللغة العربية ، والحقيقة أنه حلل المشكلة تحليلًا رائعًا في هذا الكتاب لذا رد على الذين دعوا إلى العامة واعتقدوا أن ما جرى لللاتينية يجري على العربية الفصحى وأنها لا بد أن تزول وتحل محلها عاميات ستتحول هي الأخرى فيما بعد إلى لغات وفق سنة التطور ، فارتباط الفصحى بالقرآن سيحفظها من الزوال¹⁹

فمشكلة اللغة كما يرى محمود تيمور أن اللغة الفصحى هي لغة الكتابة لا لغة الكلام ، ومن أكبر مظاهر حيوية اللغة أن تكون لغة كلام يستعملها الناس في حواراتهم وأحاديثهم وتواصلهم اليومي وفي كل مناحي الحياة²⁰ لذا يقترح أن نحاول تقليص الفارق بين العامة والفصحى لأن العامة على النقيض تماما من الفصحى حيث إنها لغة كلام لا لغة كتابة ، وسبيل ذلك يتمثل في أربع خطوات ينبغي القيام بها وهي :

- تزويد اللغة
- تبسيط اللغة
- تيسير النحو
- تعميم الضبط

أولا : تزويد اللغة

انقسم المهتمون بالشأن اللغوي تجاهه ثلاثة أقسام ، فريق يرى تعريب الألفاظ : تلفزة ، الترام ... واستعمال هذه الألفاظ كما وصلتنا من اللغات الأخرى ، وفريق يرى إثارة اللفظ العربي الذي يؤدي المعنى الأجنبي إما بالاشتقاق [هاتف مثلا] ، أو بإحياء الألفاظ التي تلمح الملابس بينها وبين المعاني الجديدة كالسيارة والقطار والجماز للترامواي والخيالة للسياما .

وفريق يرى أن نعتمد المولد في العامة : كلفظ الدوار ، الطرحة والحلة ويفضل أحمد تيمور التوسط في الأمر فيقول : " ... أن يكون موقفنا في مسألة المعرب والمولد موقف مرونة وموازنة وتقدير الملابس كل لفظ ومدى الحاجة إليه فلنشترك ولنستضيف من

العامية ، ولنستعي القديم من الألفاظ ، ولنعرب الأجنبي متوخين في كل ذلك الحكمة والذي يقوم بكل ذلك هيئة لغوية تشرف على العمل مراعية سهولة الألفاظ وموسيقى الحروف وخفة الصيغ" ²¹

إن الوضع الطبيعي في كل لغة أن ينشأ اللفظ الموافق مؤديا غرضاً من أغراض التعبير ، فيصقله الاستعمال حتى يبلغ منزلة الألفة وعلى مر الأيام يتسع مدلوله في الأفهام أو يتقلص ويتوهج في التعبير أو يعلوه الصدا. ²² ولو حجرتنا ، لحكمنا على اللغة بالضيق الذي ينتهي بها إلى الجمود الذي يسلمها إلى الموت المحتوم وليست أقيست اللغة إلا استنباطاً مما يجري فيها من ألفاظ وصيغ ، فاللغة هي الأصل ، والقياس منها يتفرع فهو ظلها الناشئ عنها يمتد إذا امتدت ، ويميل معها حيث تميل ²³، لذلك يرى أحمد تيمور أن الصواب مناطه الشيوع ، فمتى ساغت الكلمة في الأفواه فقد ظفرت بحجتها في الاعتداد بها ، وأصبح لها في الحياة حق معلوم ، فالتناس يتخذون ألفاظهم رعيًا لملايسات العيش ، وسدا لمقتضيات التعبير ، وهبات للفظ أن يأخذ حظه من السيرورة على الألسن إلا إذا صادف هوى في النفوس ، فغلبة اللفظ في الاستعمال أسطع برهان على صلاحيته وأقوم دليل على صدق الحاجة ، إليه لذلك قيل في المثل خطأ مشهور خير من صواب مهجور ²⁴.

فلنؤمن بأن السماع حجة للغة قائمة ، حتى لا نقف باللغة موقف الجمود الذي يجافي طبع الحياة ، وليكن باب القياس مفتوحاً على مصرعيه ، حتى لا منع مانع من استنباط أقيسة جديدة فوق ما ورثنا من أقيسة صاغها الأقدمون ²⁵. وسواء على القارئ أو السامع إذا فهم المعنى المقصود من لفظ مقروء أو مسموع أن يكون اللفظ في حساب اللغوي المتفقه خطأ أو غير خطأ ، فحسبه من اللفظ أنه اضطلع بمهمته التي تُخلق من أجلها الألفاظ ، مهمة إبلاغ المعاني إلى الأذهان وتأدية الأفكار بين الناس ، لذا ينبغي أن نقف من اللغة موقف ملاينة وتوجيه ، حتى ننفي عنها عن رفق ظواهر الجموح والانحراف ، والويل للغة إن بقيت وقفاً على علماء اللغة وفقهاءها ²⁶.

إن بين العامية والفصحى ستارا موهوما ، علينا أن نجلو غشاوته عن العيون ، وليس من خير الفصحى أن تقوم بينها وبين العامية هذه العزلة الموحشة ، وما الكلمات العامية إلا مصنوعات وطنية نسجت من خيوط عربية وصقلتها ألسنة عربية وأصبحت لنا بها ألفة وأنس . وهي إذا دامت الفصحى أكسبتها مزيداً من الدقة والوضوح ، وأفاضت عليها مرونة واستجابة للحيات المتجددة ²⁷. يقول الراجعي إن العربية مدنية معنوية لم تبرح قائمة على تحرير هذه اللهجات العامية وتهذيبها كلاً ما خالطها في التعليم والقراءة ، فإن ميراث العامية إنما يثبت في الأميين ²⁸.

لهذا لما تعطلت ألسنة البدو من الإعراب تصرفت في الكلام على غير نظام فاختلفت من ثم لهجاتهم ، حتى لتسمع العربي منهم فيعطي منطقاً عندك على ما يعطيه كلامه ، فإذا هو فصل ألفاظه رأيها عربية صريحة ²⁹.

ثانياً : تبسيط اللغة

بالاقتصار على المؤلف المأنوس من الألفاظ دون الغوص في المهجور المجفوف من الكلام إلا ما تقتضيه ضرورة التعبير عن معنى دقيق أو حقيقة جديدة لا يعبر عنها بلفظ متعارف .

ثالثاً : تيسير النحو

وذلك بتصفية القواعد الكثيرة وغربلتها ، فما كان من جوهرها ابقيناه ولنتخذ من تسمح بعض النحاة الأقدمين قدوة لنا فيما نعالج من تيسير القواعد إلى الحد الممكن ، وحذف مالا يلائم التطور العصري للغة ³⁰.

وأما الفوارق بين العامية والفصحى ظاهرة الإعراب فإن العامية لا تعرب إلا في الندرة ، وقد حكى اللغويون ترك الإعرابي عن " تميم " ومما يتصل بالإعرابي إسكان آخر الفعل المضارع في الوصل تقول أخي يسافر معي وهو محكي عن العرب ، ويتصل به كذلك الوقوف بالسكون على الأسماء في حالة النصب مثل : أكلت كباب وقد نسب ذلك إلى قبيلة ربيعة ، ويتصل به كذلك حذف نون الرفع لغير ناصب أو جازم فتقول : أنتم تحبوا الحق وكذلك الوقوف على المنقوص بإثبات الياء وبه قرئ ولكل قوم هادي وكذلك حذف التنوين في مثل قولنا : سلام عليكم ، وهو محكي عن العرب . وعليه ما قرئ من قوله تعالى : ولا الليل سابق النهار ، وكذلك إشباع الكسرة في تاء المخاطبة فتقول للمرأة : أنت أكلتيه وشربتيه وقد ورد في حديث نبوي (لو راجعته....) ³¹ ومنه إبقاء الاسم على صورة

واحدة للحكاية ومنه ما قرئ من قوله تعالى: { تبت يدا أبي لهب } .فلقد جاء في قراءة ذكرها الرازي³² وأشار إليها الزمخشري { تبت يدا أبو لهب }

ومن الفوارق النحوية والصرفية بين العامية والفصحى تخفيف الهمزة كما نقول في رأس ، راس وبئر ، بيرو بائع ، بايع وتوضأت ، توضيت ، ومنها قلب الألف المتطرفة همزة فتقول : في "لا،لأ" وإبدال الهاء همزة فتقول في "أهل،آل" ومنه إبدال الحرف المضعف ياء فتقول : "قصبت، قصيت" و "عددت، عدّيت" و "شممت، شميت" ومنه إبدال الواو ياء فتقول في "دعوت، دعيت" و "شكوت، شكيت" ومنه ترك المد في اسم الجلالة فتقول في "باسم الله ، باسم الله" و "عبد الله ، عبد الله" ومنه حذف النون في "من" والألف في "على" فتقول : اشتريته م الشارع ، ولقيته ع الشاطئ ، ومنه كسر الحرف الأول من بعض الكلمات نحو : بعيد وبعير و شعير ، ومنه فتح الحرف الأول من كلمة " عند " فتقول : النقود عندك .³³

ولأجل ذلك قيل: " يكاد لا تتكلم العامة بشيء إلا وله أصل ومعنى علمه من علمه ، وجهله من جهله"³⁴ ويقوي هذا المنحى ما نقله السيوطي عن أبي حيان التوحيدي في شرح التسهيل قوله : "كل ما كان لغة لقبيلة قيس عليه"³⁵ . وقال ابن جني : " إن الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ ، وإن كان غير ما جاء به خير منه "³⁶ . غير أننا نقول : لا خير في الدعوة إلى إحياء العامية ، واتخاذها لغة كتابة وتدوين ، ولكن الخير كل الخير في أن ندرس قواعد هذه العامية ، ومراجعها من اللهجات العربية ، عسى أن نستعين بها في إمداد قواعد الفصحى بما يوسع أقيستها وما يعالج مشكلاتها التي تعانيها في الوفاء بحاجيات مجتمعنا الراهن وبذلك نزودها بعوامل النماء والازدهار ونذلل ما يعترض طريقها من عقبات³⁷

رابعاً : تعميم الضبط

ويكون بتشكيل النصوص المقدمة للتلاميذ والطلبة وعامة الناس في الكتب التي يقرأونها وهو ما يعودهم على النطق السليم والقراءة الصحيحة للكلمات والجمل وبذلك تقترب لغتهم من اللغة الفصحى ، إن ما نعانيه من القراءة غير المشكولة لأننا نفهم لنقرأ وكان من المفروض أن نقرأ لنفهم ، لذلك يوفر علينا شكل الكلمات الكثيرة من الجهد فإذا وفرنا هذه العناصر الأربع تدانت العامية من الفصحى وتحولت الفصحى بذلك إلى لغة كلام بعدما كانت لغة كتابة .

5. خاتمة:

مهما كانت التحديات والصعوبات ستبقى اللغة العربية حية لأنها ارتبطت بالقرآن وارتبط بها برباط عجيب فحفظها وحفظته ولا أحد يستطيع أن يفك هذا الرباط أو يمحو رسم اللغة العربية مهما حاول ، فالعربية باقية ببقاء الإسلام وخلود القرآن تقول مي زيادة : "لقد عدت اليونانية واللاتينية في صف اللغات الميتة منذ سقوط مدينتيهما ، فما الذي حفظ العربية حية بعد زوال مدنية العربي بقرون سبعة؟

إن الذي كان باعثاً على تكوين المدنية العربية هو الذي مازال حافظها إلى اليوم وهو القرآن .

لذلك ستظل اللغة العربية حية مادام الإسلام حيا ، وما دام في أنحاء المسكونة ثلاثمائة مليون من البشر يضعون أيديهم على القرآن حين يقسمون³⁸ .

5. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

- ابن جني، أبو الفتح عثمان ،(2006)، الخصائص ، القاهرة مصر ، عالم الكتب.
- أبو الحجاج البلوي ، كتاب ألف باء ،(2009) ، بيروت لبنان ، دار الكتب العلمية.
- تيمور، محمود ،(دت)، مشكلات اللغة العربية ، القاهرة مصر ، مكتبة الآداب.
- الرازي، فخر الدين،(1981)، مفاتيح الغيب ، دمشق سوريا ، دار الفكر.
- الرافي، مصطفى صادق،(1974)، تاريخ آداب العرب، بيروت لبنان، دار الكتاب العربي.

- الزمخشري، جار الله أبو القاسم، (1998)، الكشف، الرياض السعودية، مكتبة العبيكان.
- السيوطي، جلال الدين، (1986)، المزهر، بيروت لبنان، المكتبة العصرية.
- محمد خير الدين، (دت)، مذكرات، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- مي زيادة، (2012)، بين المد والجزر، القاهرة مصر، مؤسسة هنداوي.
- المقالات:
- الركيبي، عبد الله، (1973)، تعريب التفكير أولا، مجلة الأصالة، العدد 17، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص: 101، 102، 103.
- مولود قاسم نايت بلقاسم، (1973)، اللغة والشخصية في حياة الأمم، مجلة الأصالة، العدد 17، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص: 51، 52، 53.
- المداخلات:
- بشر، كمال، (يوم الاثنين 18 من المحرم سنة 1423 هـ الموافق 1 من أبريل (نيسان) 2002، اللغة العربية بين العوربة والعولمة، مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته الثامنة والستين، مصر
- مواقع الانترنت:
- إبراهيم صلاح الهدهد، (2013)، الفجوة الرقمية وتعليم اللغة العربية الواقع والمأمول، مركز الشيخ زايد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
- الملتقى-الأول/الأبحاث/الفجوة-الرقمية-وتعليم-اللغة-العربية-[https:// azhar-ali.com/go/](https://azhar-ali.com/go/)
- الباز، زياد، (1998)، الوجه الآخر للأزمة الجزائرية: صراع لغوي بين العربية والفرنسية والامازيغية. <https://www.sauress.com/alhayat/31893109>
- عثمان سعدي، رأي اليوم، (2014)، عروبة اللغة الأمازيغية وإيديولوجية النزعة البربرية الاستعمارية. [https:// www.raiafyoum.com](https://www.raiafyoum.com) الدكتور-عثمان-سعدي-عروبة-اللغة-الأماز

*

¹ مولود قاسم، اللغة والشخصية في حياة الأمم، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 17، 1973، ص: 51

² السابق ص: 51.

³ السابق ص: 52.

⁴ السابق ص: 53.

⁵ السابق ص: 53.

⁶ محمد خير الدين، مذكرات: المؤسسة الوطنية للكتاب: دط: دت/ 272/1

⁷ عبد الله الركيبي، تعريب التفكير أولا، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 17، 1973، ص: 101.

⁸ السابق ص: 102.

⁹ السابق ص: 103.

¹⁰ محمد مسلم، فرنسا وبريطانيا وألمانيا ضغطوا على الجزائر لتجميد قانون استعمال اللغة. الشروق الصادرة بتاريخ 2010/09/4

¹¹ عثمان سعدي، رأي اليوم، 2014/10/27، عروبة اللغة الأمازيغية وإيديولوجية النزعة البربرية الاستعمارية.

¹² عثمان سعدي، رأي اليوم، 2014/10/27، عروبة اللغة الأمازيغية وإيديولوجية النزعة البربرية الاستعمارية.

¹³ زياد الباز، الوجه الآخر للأزمة الجزائرية: صراع لغوي بين العربية والفرنسية والامازيغية، مجلة الحياة، 29 يونيو 1998.

- ¹⁴ كمال بشر، اللغة العربية بين العوربة والعوامة، مقالة مقدمة في مؤتمر مجمع اللغة في دورته الثامنة والستين يوم الاثنين 18 من المحرم سنة 1423هـ الموافق 1 من أبريل (نيسان) سنة 2002م
- ¹⁵ إبراهيم صلاح الهدهد، الفجوة الرقمية وتعليم اللغة العربية الواقع والمأمول، مقال نشر في مركز الشيخ زايد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
- ²¹ 21 يناير 2013
- ¹⁶ السابق .
- ¹⁷ السابق .
- ¹⁸ السابق .
- ¹⁹ محمود تيمور ، مشكلات اللغة العربية ، مكتبة الآداب مصر ، دط ، دت ، ص: 4 و 5 .
- ²⁰ السابق ص: 9.
- ²¹ السابق ص: 10.
- ²² السابق ص: 25.
- ²³ السابق ص: 25.
- ²⁴ السابق ص: 26.
- ²⁵ السابق ص: 29.
- ²⁶ السابق ص: 30.
- ²⁷ محمود تيمور ، مشكلات اللغة العربية ص : 15 .
- ²⁸ الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط 4 ، 1974 ، 1 / 268.
- ²⁹ السابق ، 1 / 267
- ³⁰ السابق ص: 16.
- ³¹ رواه ابن ماجه
- ³² ينظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، دار الفكر ، ط 1 ، 1981 ، 168/23 و الزمخشري ، الكشاف ، مكتبة العبيكان ، ط 1 ، 1998 ، 456/6.
- ³³ السابق ص: 173.
- ³⁴ أبو الحجاج البلوي ، كتاب ألف باء ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1 ، 2009 ، 513/2.
- ³⁵ السيوطي ، المزهر ، المكتبة العصرية ، دط ، 1986 ، 258/1.
- ³⁶ ابن جني ، الخصائص ، عالم الكتب ، ط 1 ، 2006 ، 12/2.
- ³⁷ محمود تيمور، مشكلات اللغة العربية ص 178.
- ³⁸ مي زيادة ، بين المد والجزر ، مؤسسة هنداوي دط 2012 ص 30 .